التقاط اللؤلؤ
من
أصداف اللؤلؤ
ترتيب
أبو آسية

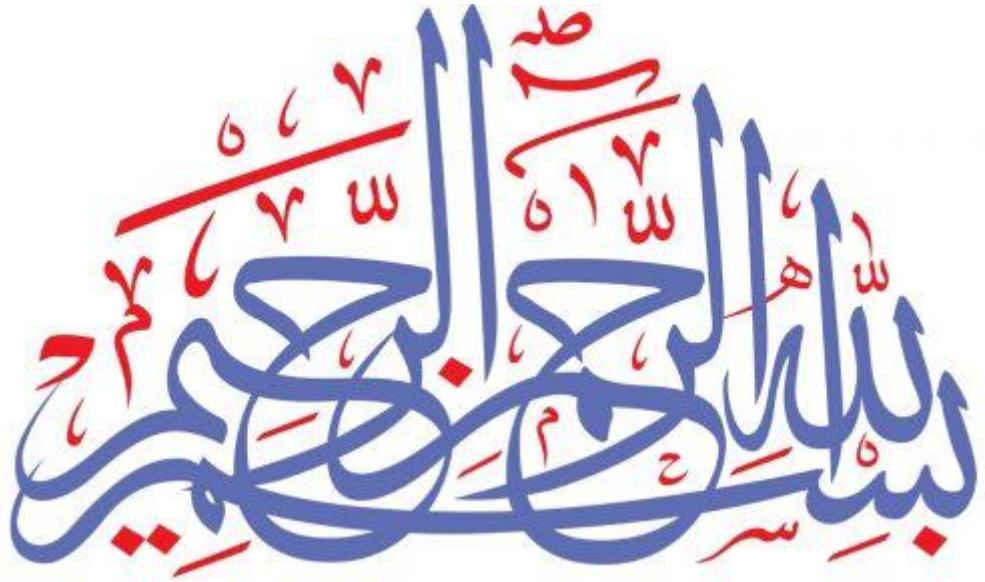

الحمد لله الذي علمَّ القرآن، خلق الإنسان، علَّمه البيان، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، أعلمَ الخلق بالله ودينه وشرعه، وأنصحهم للناس وأنفعهم، وعلى آله وأصحابه غيوثِ الندى، وليوثِ الهدى، صلاة وسلامًا دائمين من اليوم إلى أن يُبعثَ الناس غدا.

أمَّا بعد:

فهذه مجموعة من الفوائد واللطائف المنتقاة من سلسلة حلقات برنامج أصداف اللؤلؤ الذي يتناول سيرة الشيخ الحويني من داخل مكتبته حاوره فيها الإعلامي إبراهيم اليعربي.

بداية حب القراءة والطلب

تعلمت القراءة وأحببتها من أخي الدكتور رزق منذ الصغر، وكنت أكتب شعر غير موزون ولكنه مقفىّ من سادسة ابتدائي.

كانت مكتبة أخي د. رزق حوالي **100** مجلد كان منظرها بديعا مبهجا خاصة بالنسبة لي وأنا من الأرياف، فقرأت معظم محتويات المكتبة ولم يكن هناك كتب دينية وإنما كانت لأدباء العصر مثل توفيق الحكيم ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس ويوسف إدريس وأنيس منصور وقرأت الشعر مثل محمود طه ومحمود غنيم وأبو القاسم الشابي ولما ترقيت قرأت لأحمد شوقي وحافظ إبراهيم.

تأثرت بالمنفلوطي وخاصة الفضيلة ومن ثم أبو فهر محمود شاكر والرافعي
وقرأت للمتنبي والشعراء الصعاليك وأشعار الهذليين ولكني توقفت تماما عن هذه الكتب بعد الثانوي بعدما علمت أنها كلام فارغ، ولكن أهم ما استفدته من هذه الكتب هو إني أصبحت مثل آلة الطحن كل ما يأتي أمامي اطحنه (أحب أن أقرأ).

كتب الأدب

القراءة في كتب الأدب منحتني مسحة أدبية في أسلوبي في الكتابة والكلام وعلمت قول الشافعي من تعلم الشعر رقّ طبعه، وهذا أثر على أدائي في التعليم فأحببت عندما أُدرِس علم اجعله وكأنه يتكلم، مثل تعليم الحديث في قناة الناس كان الهدف عندي هو زرع ثقافة علم الحديث، فأصبح العوام يعرفون هذا العلم ويحبونه وكم لقيت من العوام يقول لي أنت توقفت عند المعضل ;لماذا لم تكمل؟!

يقول الشيخ ان مما يعاب على الشباب السلفي الذي أُدرِس له إنه فقير جدا في القراءات الأدبية فالمسألة عندهم العلوم الشرعية فقط، مع أن علمائنا المتقدمون كانوا شعراء كالشافعي، والعلماء الذين ينظمون المنظومات كألفية السيوطي والعراقي وهذا يدل على إن لديهم رصيد أدبي.

كتبت ثمان دواوين شعر ولكني نسيتها والأوراق محتفظ بها أخي الدكتور رزق، منها قصيدة إسمُهَا دنيا الأوحال، لا أتذكر منها إلا بيتين وكان هذا في بداية اشتغالي بالدعوة في ثالثة ثانوي وكان عندنا صناديد البلد يقفون لنا بالمرصاد (شوية عيال جابوا دين جديد)

كنت كتبت قصيدة أتفجع بها على غربة الإسلام ومن ضمن الأبيات التي أتذكرها في هذه القصيدة

دُنْـــــيَا أَمَاتَ الْعَدْلُ قَهَرَا أَهْلُـــهَا
فَالْمُـــوبِقَاتُ السَّـــبْعُ فِيهَا كَاللِّمَم

* * * * *

لَوْ أَنَّى قُمْـــتُ بَيْنَ أَحَجَّارِ الْقُـــبُور
لـــقَامَ مِنهُمْ مَنْ يـــُبَادِلْنِي الْكَـــــلِم

أول كتاب شرعي

بدأت في دراسة كتب الشريعة سنة **74** عندما لاحظت في مكتبة أخي كتابان، كتاب قـــديم جدا وهـــو عبارة عن ملازم متفرقة وورق أصفر يـــميل إلى البني فـــإذا هـــو **تفسير الخـازن** فأعجبت به وكان يذكر سورة البقرة مثلا آياتها **286** كلماتها كذا وكذا، حروفها كذا وكذا، فاندهشت هل وصل عناية المسلمين بالقرآن إلى عد حروفه؟!

والكتاب الثـــاني في المكتبة هو **مسند الإمام أحمد** تحقيق أحمد شاكر كنت أقرأه **المَسْنَد** بفتح الميم، افتح الكتاب أجد فلان عن فلان عن فلان أغلقه لأني لا أفهم شيئا، فيما بعد لـــمّا علمت قيمة الكتاب أخذته ولا زلت احتفظ به إلى الآن.

تكوين المكتبة

مكتبة الشيخ ست غرف مقسمة على الفنون

أول كتاب اشتريته هو كتاب **(صفة صلاة النبي صلى اللّه عليه وسلم)** وكان هذا في ثالثة ثانوي عندما كنت عند أخي في القاهرة وسمعت عن الشيخ كشك فحضرت له وبعد إِحْدى صلوات الجمعة وأنا أقلب الكتب التي تباع على الرصيف بالقرب من مسجد الشيخ كشك وقفت على كتاب صفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها للشيخ الألباني ولما قرأت المقدمة أحببته جدا، انتابني شعور لم اشعر به في حياتي أحسست أن ينبوع النبي انفجر في قلبي وأحسست أن هذا الكتاب هو روحي.

نظرت في الكتاب وجدت أن هناك متن وحواشي، وفي الحواشي البخاري وابن النجار والبغوي أسماء جميلة ولكن لا افهم شيئا، كان سعر الكتاب **30** قرش ولم يكن معي إلا شلن، بعدها وجدت مختصر الكتاب وكان ثمنه شلن، فاشتريته ولم أستطع أن اصبر فقرأته

في الطريق إلى البيت وفي الجمعة التالية استطعت أن أوفر 30 قرش ثمن الكتاب وليس المختصر ومن ضمن بركات هذا الكتاب وليست بركة واحدة أن حاشيته عرفتني على كتب السنة فلم أكن اعرف لا الترمذي ولا أبي داود ولا النسائي.

فيما بعد لما صرفت لنا مكافأة التفوق في الجامعة وكانت 14 جنيه ونصف، يتبقى منها بعد مصاريف السكن والمواصلات حوالي 4 أو 5 جنيه فصار بمقدوري شراء المجلدات وكان أول كتاب اشتريته كتاب **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني** تجليد فاخر بـــ 3 جنيه وما زال موجود عندي.

اشتريت **الكامل لابن عدي** ثاني يوم زواجي وفرحت به أكثر من فرحي بالزواج وكان ثمنه 100 جنيه وطبعا لم أستطع الحصول على الكتاب إلا بعد الزواج (النقطة)، ولكنها كانت نسخة متعبة جدا من كثرة التصحيفات وأضاعت مني وقت كبير اضطررت إلى أن اعتمد على المخطوطة وكانت أمنيتي أن يحقق الكتاب حتى جاء الشيخ مازن السرساوي.

كتب أصول الفقه متوسع فيها قليلا، لأن أصول الفقه مهمة جدا والاختلافات فيها كثيرة، ولكي تحرر وجه الحق في مسألة متنازع فيها تحتاج إلى كتب الأصول لاسيما كتب المتقدمين.

الصفحة الأولى لكل كتاب تكون دائما للفوائد التي في الكتاب لدرجة إني صنعت كتاب من الفوائد التي كتبتها على **حاشية تهذيب الكمال فقط.**

اشتري من معرض الكتاب كل سنة حوالي 15 كرتون، ولكني لم اذهب لمعرض الكتاب منذ أكثر من 5 سنوات ولكن اوكل غيري.

بداية الطلب

لما قرأت صفة صلاة النبي للشيخ الألباني صرت أبحث عن أي كتاب للشيخ فوجدت جزء فيه **100** حديث من الأحاديث الضعيفة والموضوعة فوجئت أن كثير من الأحاديث التي احفظها واعرفها ضعيفة أو موضوعة فحدث عندي تشويش، كلمت أحد إخواني فدلني على درس الشيخ المطيعي، لما حضرت للشيخ اندهشت من الشيخ وهو يقول فلان اسمه كذا ولقبه كذا، ورحل إلى، وفلان ضعيف ;أقول لنفسي كيف يحفظ هذا؟!

كنت انظر في جزء الأحاديث الضعيفة فأجد ضعيف وموضوع ومنكر لا افهم شيء وأقول لنفسي هل يغير في الألفاظ حتى لا نشعر بالملل أم ماذا، فقلت إن أفضل طريقة لفك هذا الإشكال أن اصنع كل حديث قال عنه الشيخ موضوع لوحدة وضعيف لوحدة وهكذا وأحاول أن أجد الاختلافات بينهم، استمرت معي الرحلة لحوالي سنة، صرت أستطيع أن أقول إن هذا الحديث مثلا منكر قد لا أجد تفسير لذلك لكن يقع في قلبي إنه منكر وهذا من كثرة الاستقراء.

من الطرائف

من الطرائف إني كنت في البلد أجمع الأولاد الصغار واشرح لهم علم الحديث حتى افهم أنا وأثبت المعلومة، وفي يوم من الأيام قلت لهم حديثنا اليوم في الحديث الضعيف، فقرأت هذه العبارة (الحديث الضعيف هو الذي تقاعد به الجابر فلم ينهض به إلى درجة الذي يحتج به)، وأنا لا افهم أيش (ينهض به الجابر) وجابر مين!، وعيب علي كأستاذ ألا أكون عارفين المجبراتي) خرجت منى عفوا ففهمت الموضوع.

المرحلة الذهبية في الخدمة العسكرية

المرحلة الثانية وأنا اعتبرها المرحلة الذهبية في طلبي للعلم وذلك بعد دخولي للجيش توفر لي بعض الوقت بفضل الله تبارك وتعالي وهذا بغير العادة، لكن حدث لي ما يشبه المعجزة وكنت في سلاح المشاة وكان المعسكر الذي أنا فيه معروف بشدة المعاملة حتى يقال عنه هنا تل أبيب، والشاويش الذي يدربنا لم أرى في حياتي أسوء خلق منه، مرت أيام صعبة جدا، لكن في يوم من الأيام أحد المتدربين ضرب الشاويش الذي يدربنا وهذا يعني أن الداخلية تخرجنا الساعة 1 في الليل كعقوبة لنا، وكان شتاء قارص وتقف بالملابس الداخلية وتزحف، فكنت أدعو الله أن ينجيني من هذا، فجاء رجل من إدارة المشاة وطلب 3 أشخاص لتقييد الدفاتر وكنت أحدهم، بعدها بأيام مدير الفرع المقدم عصام محمد كامل، لا أنسى هذا الاسم لأنه السبب في جعل سنة الجيش من أزهى سنوات طلب العلم عندي، سأل المقدم الصول في حد من العساكر خطه كويس فذكرني عنده، وكان يدرس في كلية الألسن قسم إنجليزي ويدرس في كلية التجارة، اختبر خطي فعجبه الخط قال لي سيبك من شغلك وبيض هذه المحاضرات وكنت أجلس معه في المكتب ويكلمني عن الشيخ كشك فنشأ بيننا ود، وكان المقدم فيما سبق مدير مكتب اللواء النجاتي رئيس المشاة في الجيش كله، بعد انتهاء 45 يوم كان لازم أترحل وكان اللواء النجاتي اصدر قرار في هذه السنة إنه مفيش مؤهلات عليا تخدم في القاهرة كل المؤهلات العليا تخدم على الجبهة عشان الأسلحة وبالذات كلية الألسن وكان قرارا صارما لا استثناء فيه.

فأصبحوا يبعثوا في طلبي والمقدم عصام يؤخر حتى مضى 60 يوم وكان لازم التحق بالوحدة، فكلمني وقال أنا إن شاء الله سأخدمك خدمة جليلة سأذهب للواء النجاتي وأجعل خدمتك في القاهرة فذهب وعاد وقال لي لقد كتبت اسمك بالجاف وليس بالرصاص وتم إلحاقي بهيئة تدريب القوات المسلحة في رابعة العدوية وتم وضعي في أمن هيئة التدريب.

وكان رئيس الأمن المقدم محمود أبو الغيط وكان مدير مكتب أحمد بدوي الذي صار وزير الدفاع، وكان قوي الشخصية، لـــمّا علم أني من كلية الألسن جابلي كتاب وقال لي أنا تعبت جدا في ترجمة فهرس الكتاب فترجمت له حوالي 4 أو 5 صفحات ففرح بها جدا والذي فهمته منه أن هذا هو جيشك، ولأن شخصيته قوية جدا فإن العساكر بتوعه يعتبروا رتب أنا اعتبر رتبة فكنت أحضر في الصباح أترجم كم صفحة ثم اذهب لمكتبة الشيخ حامد وأنا معي أذن مفتوح على البوابات.

مكتبة الشيخ حامد

لم أكن أملك كتب فدلوني على مكتبة أصول الدين، لكن المشكلة إن عندهم قانون ;ألا تأخذ إلا مجلد واحد ثم ترجعه ثم تأخذ مجلد أخر والمجلد الواحد قد أخذ منه ترجمة راوي واحد ثم اتركه ولما دلوني على مكتبة الشيخ حامد لم أصدق عيني بأنني حر في أخذ الكتاب الذي أريد وأجلس في الوقت الذي أريد فكنت أجلس في المكتبة من صلاة الظهر إلى العشاء لمدة سنة وأربعة أشهر.

مواقف في طريق الطلب

بعدما تخرجت من الجامعة رفضت العمل في الإرشاد السياحي وعملت في الإذاعة ثم تركتها واشتغلت في محل للبقالة براتب ضعيف لكنى استغليته لشراء الكتب وكنت اسكن مع صاحبي جمال في شقته وكان وقتها بعد أحداث مقتل السادات وخروجي من السجن، وخرج بيان في الإذاعة إن أي شخص يأوي إرهابي سوف يصادر بيته ويسجن فعندما رآني صاحب الشقة الذي يستأجر منه جمال ارتاب منّي ودخل الشقة وعندما شاهد الكتب طار قلبه من الخوف وطلب خروجي من الشقة وإلا بلغت الأمن عنكما، وكانت الكتب وقتها أشد خطرا من المخدرات، أي شخص عنده كتب إرهابي وممن قتل السادات، قال لي أحد أصحابي هنالك شقة لتحفيظ القران لا تعمل إلا في الصيف وبإمكانك أن تسكن فيها مؤقتا حتى تجد حلا وكنا في الشتاء وبعد أن كلم أصحاب الشقة وقال لهم هذا طالب علم غلبان وافقوا.

بدأت في نقل المخدرات الكتب الساعة 2 ليلا وكان هناك مخبرين أمن الدولة وهم من أولاد هذا الحي جاءونا ونحن نترل الكتب وقالوا لصاحب الشقة لولا أنك ابن الحي كنا وديناك في داهية، ونحن كأننا لم نرى شيء لكن عليه أن يذهب من هنا، رجعت إلى جمال وأنا في منتهى الخجل وقلت له كلمة واحدة أمهلني إلى الصبح وأنا لا اعرف في الصبح ماذا أصنع.

وكنت خائف أن تكتشف الكتب التي عندي وأعود للسجن مرة أخرى فكان أن أقمت في غرفة تخزين الجبنة الرومي في محل البقالة الذي أعمل فيه، وكنت أعمل من الصباح إلى المساء ولا أستطيع أن افتح صناديق الكتب واستمر الحال لمدة عشرين يوم حتى وجدت نفسي سأموت فبدأت في الليل أتنصت وأتلفت للتأكد من عدم وجود أحد ولأفتح صندوق كتب لازم أشيل على الأقل 10 طرود جبنة رومي ولما أصل للكتاب أشعر كأن الدنيا كلها بين يدي، افتح الصندوق وأجلب كتاب أو كتابين خاصة **كتاب التنكيل للمعلمي** كنت شغوف جدا بهذا الكتاب فكنت اقرأ فيه بصفة مستمرة يسليني وينسيني همي حتى أنام دون أن أشعر من شدة التعب.

سكنت في هذه الغرفة أربعة أشهر حتى فرج الله وتحصلت على شقة أربعين متر، ولا أستطيع أن أصف بقلم سعادتي بهذه الشقة كنت أشعر أن الناس كلهم محرومين إلا أنا ممتع، وعندما اشتريت ثلاجة شعرت إني في حياة بطر (ماء بارد والكلام هذا) كنت أقول لنفسي ما أهمية الثلاجة، كان من الأفضل أن ادفع 10 جنيه قسط الثلاجة في شراء كتاب أنا بدأ خطي ينحرف أصبحت من أبناء الدنيا.

من المحن تأتي المنح

في فترة السجن الأول قبل مقتل السادات بحوالي شهر، حفظت 14 جزء من القرآن في أربعه أشهر وعشر أيام، حفظت آل عمران في يوم من الفجر إلى 12 بالليل ثم أقوم الليل بالسورة، وحفظت المائدة في يوم، والأعراف في يوم، والأنعام في يوم.

المرحلة الثانية: – الكتب والتصنيف

بداية التصنيف

أول كتاب كتبته اسمه **الدرة السنية في علم الوصية** فقد أحببت أن اكتب وصية لنفسي ولكنها في النهاية أصبحت كتيب مختصر من كتاب أحكام الجنائز.

لكن أول مصنفاتي الحقيقية كتاب **فصل الخطاب بنقد كتاب المغني عن الحفظ والكتاب** وهذا أول كتاب لي وهو الذي عَرَّفَ الشيخ الألباني بي.

الرحلة للشيخ الألباني

الرحلة للشيخ الألباني كانت مهمة جدا حتى في سلوكي الشخصي، فلقد ذهبت إليه وأنا أحب الحديث وأريد أن أكون عالما في الحديث فرجعت من عنده وأنا محب للسنة، لان الحديث صنعة يمهر فيها التقي والفاجر وهذه أكبر بركات الرحلة.

يقول الشيخ لساني جعلته للعامة وجعلت قلمي للخاصة والسبب في هذا أن أصل دراستي وأمنيتي الأولي أن أكون مشتغلا بالحديث، أما أن اشرح للناس الحديث واستنبط المعاني فلم تكن من أولوياتي في بداية الطلب، بل كل ما كنت أرجوه أن أكون متخصصا في الحديث، ممكن أكون حبيس المكتبة وأتعامل مع المخطوطات والكتب الحديثية إما تحقيقا أو شرحا، ولأن الاشتغال بالحديث والنقد الحديثي صناعه غريبة وبضاعة عزيزة، قلّ من يقف عندها فلو تركت هذه الصناعة وأعداد المهتمين بها قليل، لا أقول خسارة، ولكن انتقص الجهد، أما بالنسبة للخطب والتصنيف في الأخلاقيات فهناك من قلمه أفضل مني، فطالما هناك من يكتب أفضل مني، فأكون أنا في بابي الذي تخصصت فيه، ويكون لساني للعامة والحمد لله رب العالمين أعتقد أنّي أنجزت في البابين على قدر طاقتي، لا أقول أنّي فعلت ما أتمناه فما **أتمناه شيء يعز فالهمة عالية جدا لكن الجهد أقل من الهمة.**

حقيقة علم الحديث

بكل أسف في النهضة الحديثية أن أغلب الطلبة إنما يبحثون عن علم الحديث وقد يكون جاهلا في الفقه أو العقيدة أو أنواع العلوم الأخرى، وقد صاحب هذا ورم ينبغي أن يستأصل وهو التطفل على علم الحديث لا سيما بعد توفر المراجع والمكتبة الشاملة أو جوجل، فيأتي الطالب فينفخ الكتاب ويتصور أن تخريج الحديث هو ذكر مصادر الحديث في الكتب المسندة سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة وهذا خطأ، فلما صفحتين أو ثلاثة مصادر؟! كل هذه المصادر الحديث فيها مالك عن نافع عن ابن عمر، ما الذي استفدته أنا، إلا إنني عزوت إلى المصادر، قد ينفع هذا اذا استغليت هذه المصادر في ترتيب صحيح أو تقوية أو إنكار زيادة في متن، فالنقد الحديثي شيء وأن تعزو الحديث إلى مصادره شيء أخر تماما، تخريج المصادر سهل جدا، تجد مثلا رواه عشرين عن أبي هريرة فلان عن أبو هريرة وفلان عن أبو هريرة حتى العشرون، مع أن هذه الأسانيد قد تشتمل على علل وهذه العلل قد تعل بعض الزيادات الموجودة، لا يلتفت إليها إطلاقا هذه ليست من بضاعته، فعلم الحديث في الحقيقة هو (فهم العلم) الذي يعمل خارج هذا الكلام هو مجرد رجل يخرج من الفهارس ويكتب، فأنا من مدرسة النقد الحديثي، مشغوف بنقد الأسانيد والإشارة إلى المتون المعللة وهذه مدرسة الشيخ الألباني.

الكتب المخطوطة الأصل أن اخرج النص كما صنفه صاحبه إلا ما شاء الله، هذا الذي يسمي تحقيق، بعض الناس يأتي بأي كتاب مطبوع ويقول تحقيق فلان ويخرج أحاديثه، هذا ليس تحقيق، فالتحقيق والتخريج والتعليق ثلاث كلمات كل واحدة لها باب. فلمّا يأتي أحدهم بكتاب مطبوع ومليء بالتصحيفات ويريد أن يخرج أحاديثه ولم يعتمد على أصل المخطوط ويقول تحقيق فلان الفلاني، هذا ليس تحقيق هذا اسمه تخريج وأحيانا يكون بالباء بدل الجيم (تخريب) وكثيرا ما يكون!

والقصد فلطالما أن المحقق اخرج النص بطريقة صحيحة فعملك عليه نوع من الفضول، انظر لعمل أخر، اخرج كتاب أخر لم يخرج إلى النور بعد، وتكون قد أسهمت في إخراج تراث الأمة المدفون حتى يستفيد منه الجميع لأن المخطوطات ليست مبذوله لكل أحد.

تجارب في التحقيق

إذا حقق أحدهم كتابا، أنا لا أعمل فيه مطلقا إذا رأيته بعيني لا سيما اذا كان من أهل هذا الفن، لكنني ليس لمجرد أن يقال إن فلان يعمل في هذا الكتاب اترك تحقيقه بعد أن باشرت فيه، والسبب في هذا قصه حدثت لي، حيث وأنا أعمل في سنن النسائي في المجلد الرابع أخبرني أخونا أبو هاجر (سعيد زغلول) ، قال لي أنت تعمل في سنن النسائي وأبو غدة أَنْهَى الكتاب وهو في المطبعة الآن، فأصبت بشيء من الإحباط و ظللت عدة أيام متألم بيني وبين نفسي وأراوح مكاني وبعد ذلك استقر رأيي أن أكمل الكتاب، وقلت إن الفواكه كثيرة وهي مختلفة الطعوم.

انتظرت طبعة الشيخ أبو غدة على أحر من الجمر ونزلت بعد سنوات، وإذ بي أفاجئ إن الشيخ أبو غدة رحمه الله رقم الكتاب وعمل فهرس للكتاب فقط، فقلت الحمد لله إني لم أتوقف لأن الكتاب طبع بعد عدة سنوات من كلام أبو هاجر، فلهذا السبب عندما أكون أعمل في كتاب وقطعت وفيه شوطا ويقال إن فلان يحقق فيه فإنني أكمل عملي إلا أن يكون الكتاب صغير الحجم.

بعض الباحثين من إخواننا أرسل لي تعقبا على كتاب غوث المكدود، ففي بعض الأحاديث نظرا للجهد الهائل الذي بذلته في تخريج هذه الأحاديث أعجبتني نفسي فقلت (وقد فصلته في بذل الإحسان بما لا مزيد عليه) فأرسل لي رسالة فيها تأنيب وكان مؤدبا جدا، أنا خجلت من نفسي وبعدما اتسعت الدنيا معي وأتيت بالمراجع والمخطوطات علمت بحقارة هذه الكلمة، وإنه لا ينبغي لأحد إطلاقا مهما بذل من الجهد أن يقول لا مزيد على جهدي لأن في الزوايا خبايا وفي الناس بقايا.

نشر الكتاب في حياة المؤلف يختلف كثيرا عن نشر الكتاب بعد وفاته، نشر الكتاب في حياة المؤلف يكون مسؤولا عنه، لأنه ما نشره إلا وهو يري إنه يستحق النشر، ولكن نشر الكتاب بعد وفاته قد يكون يريد حذف الكتاب كله، وليس شرطا أن أخط عليه بالقلم وأشطبه أنا لا أفعل هذا في كتبي، أنا إذا رأيت أن هناك حديث لم أحققه على الوجه الذي أريده اتركه ولا أشطبه على أمل أن ارجع إليه مرة أخري فأحققه تحقيقا يرضيني، فلو جاء أحدهم بعد وفاتي ونشر مؤلفاتي أنا غير مسؤول، لا يأتي أحدهم ويقول أَخطأَ في هذا لاحتمال إن هذا الحديث مما أريد أن أغيره، ولذلك أقول إن الكتب التي نشرت بعد وفاة الشيخ الألباني ينبغي أن يترفق المرء في انتقاد الشيخ فيها، صحيح أبي داود الذي طبع في 11 مجلد، الشيخ في حدود علمي لم يشر في أي كتاب من الكتب المطبوعة في حياته إنه سينشر هذا الكتاب قريبا ،أو قال أنا سأنقحه لأدفعه للطبع.

فهم أخذوا الكتاب وطبعوه على حالته، فممكن يكون في أشياء الشيخ الألباني رحمه الله كان يريد أن يغيرها أو أبحاث لا تعجبه ولكنه لم يشطب عليها، فنحن نتلقاها بالتسليم وقد يكون الشيخ تراجع عن هذا ولم يكتب إنه تراجع، فأنا أقول كل مؤلف نشرت آثاره بعد وفاته ينبغي أن نترفق في تعقبه فضلا عن استخدام العبارات الشديدة معه، أما ما نشره في حياته فهو مسؤول عنه إلا أن يكون نبّه في بعض كتبه المتأخرة عن أخطاء في كتبه المتقدمة.

الموسوعات الحديثية

موسوعة الأحاديث النبوية التي صنعها أخونا سعيد زغلول، كان في ذلك الوقت وهو يكتب الموسوعة يعطي لبعض الشباب كتاب ليفهرسة وهو أيضاً كان مشتغلا بالفهرسة واعتقد أيضاً أن الشيخ حامد فهرس بعض الكتب وبدأ جمع البطاقات كلها في صعيد واحد، وبدئنا نكتب، أنا كتبت المجلد الأول من الموسوعة فقط وكانت هذه الموسوعة طفرة في زمانها، كانت نادرة النوادر، وقد استفدت منها كثيرا، فمن دون الموسوعة طالب العلم أعمى لأن زمان الحفظ ولّى وانتهى، فعندما أريد أن أحقق حديثا من

الأحاديث اليوم لابد أن اصنع أطرافا للكتب التي عندي وأنا عندي موسوعات كثيرة أنا صنعتها لنفسي، فمثلا الأجزاء الحديثية تشتمل على أسانيد ليست في الكتب الكبار، فأنا عندي تقريبا 800 جزء حديثي فإذا أردت أن تبحث عن حديث معين فهل يعقل أن تمر على 800 جزء وتنظر في فهرس كل جزء هل الحديث موجود أو لا يضيع العمر في تحقيق بضعة أحاديث.

عندي الآن مخطوطات المدرسة العمرية التي كانت ملك الضياء المقدسي 153 مجلد، ضائع منها مجلدين أو ثلاثة غير موجودة أساساً، وهذه معظمها أجزاء حديثية وملیانة أسانيد، هذه المدرسة لو كانت عندي في أول عمري لفرقت معي جدا، كان عندي جَلَد وصبر على الفهرسة ولكن بكل أسف جاءتني وشمس العمر تميل إلى الغروب، ولكن لا بد مما ليس منه بد، بدأت أفهرس بعض الأجزاء الحديثية مما لم يطبع حتى استفيد منها في التحقيق.

أمنية محدث

كنت أتمنى أن أضع كتابا على صحيح مسلم مثل فتح الباري للحافظ ابن حجر الذي وضعه على صحيح البخاري لا ادعي انه يمكن أن يكون مستواه كمستوي الحافظ ابن حجر لكن كنت سأجتهد.

سمعت الشيخ محمد عيد عباس يقول إن هناك حديث تمنى الشيخ الألباني أن يكون صحيحا وهو موضوع وهو حديث ((أزهدُ الناسِ في العالِم أهله وجيرانه)) وأنا انسج على هذا المنوال فأقول هناك حديث موضوع تمنيت أن يكون صحيحا وهو (لا تعلموا أولاد السِّفْلة العلم)) لأنهم إذا تعلموا العلم أهانوا العلماء.

كثرة المصنفات الغير مكتملة

هناك من يلومونني على كثرة مؤلفاتي التي لم تكتمل ولكن من عانى وباشر التصنيف سيعذرني، فمثلا كنت أحقق حديث سفيان ابن عيينة عن الزهري إن عمر بن الخطاب (لولا أن يقول الناس زاد عمر لكتبته على حاشية المصحف) وفي هذا الحديث خارج الصحيحين زيادة إن عمر قال فيما نقرأ (إذا زنا الشيخ والشيخة ....) وجدت الحافظ وغيره ينبه أن حديث ابن عيينة فيه هذه الزيادة لكن البخاري ومسلم حذفوها عمدا، وهذا إعلال، وهذا حملني على أن أتتبع ما قيل إن البخاري حذفه ولم يبين البخاري لماذا حذفه، هل يا ترى البخاري إذا حذف جزء من متن حديث ما، هل حذفه لأنه يعارض أحاديث أخري؟ أو يعله إعلالا أم ماذا؟

مثل حديث إنما الأعمال بالنيات، تلقى الحديث عن الحميدي الذي يرويه كاملا في مسنده ولكن البخاري حذف شطر الحديث، لفت نظري هذا، فقرأت فتح الباري كله حتى اقرأ تنبيهاته أن البخاري حذف هذا فظفرت بحوالي **50** موضع، بدأت اعمل جزء خاص اسمه (كسوة العاري ببيان عله الحذف عند البخاري) فأتي بالحديث وأتتبع الجزء الذي حذفه البخاري، لم أكمل الكتاب إلى الآن لأنه متعب، فكرت أن أغير كلمة في العنوان وتريحني ليصبح كسوة العاري ببيان موضع الحذف عند البخاري لكن لو غيرتها سيفقد الكتاب نفاسته، وهذا مؤلف جاء على جنب أثناء تحقيق حديث.

مثال أخر:

في سطر في علم المصطلح هذا السطر أخذ مني **3** شهور، وهم يقارنوا بين الصحيحين يذكرون إن مميزات مسلم عن البخاري أن مسلم كتب كتابه في حياة شيوخه لذلك يتَحَرّى ألفاظهم أكثر من البخاري، فالبخاري يقول رب حديث سمعته بمصر كتبته بالحجاز ورب حديث سمعته بالحجاز كتبته بالشام وهكذا، فسألت نفسي; هذا الكلام قاله القائل عن استقراء أو إنه كلام تلقاه العلماء بعضهم عن بعض وممكن يدخله الخلل،

فقلت إن أفضل شيء أن أتى بالأحاديث التي اتفق فيها الشيخان من أول الشيخ إلى آخره فعملت كتابا اسمه (معجمه الفؤاد بما اتفق عليه الشيخان في المتن والإسناد)
وجدت الأحاديث التي اتفق عليها الشيخان في المتن والإسناد قرابة **245** حديثا.

لكن واجهت إشكال وهو إنني وجدت مسلم في بعض الأحاديث إنما يحيل في الإسناد المتفق عليه، فرجعت وقسمت الكتاب إلى قسمين، الأول ما ذكره بالإسناد والمتن والقسم الثاني ما أحال مسلم للحديث الذي ذكر لفظه في هذا الباب
وأحاول أن احكم، في القسم الأول على هدف الكتاب، وفي القسم الثاني وجدت إشكال أخر وهو أن البغوي في شرح السنة يروي أحاديث ويصل إلى مسلم بن الحجاج ويذكر المتن كاملا.
بالرغم إن مسلم أحال وهو غير موجود في كتاب مسلم، فمن أين أتى به؟
هل يمكن أن مسلم حَدّث به خارج صحيحه وتلقاه أخرون عن مسلم في كتب أخرى وهذا أخذ مني وقت وجهد كيف أعالج هذا.

وهذا سطر في المصطلح خطر في بالي أن أفصل في هذه القضية وهذا أخذ مني عدة شهور فبدأت في جمع الأحاديث وترتيبها فضلا عن الإشكالات التي واجهتني.

مشاريع كتب ملغية

سبب إلغاء مشاريع كتب كنت قد بدأت في تأليفها، لأن بعض المشروعات كانت لأسباب لم أقصد تأليفها لكن كانت لها مناسبات مثل الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج كان درسا في المسجد ثم توقف من أمن الدولة، وهناك بعض المشاريع التي لو تمت لكانت مشاريع عملاقة كانت لها بعض الظروف مثل كتاب (زوال الترح المضني بتخريج أحاديث المغني)، وتخريج الأحاديث والأثار في المغني لابن قدامة هذا مشروع عُمْر يكفي أن تنجزه وتموت.

وسبب بدايتي في هذا الكتاب إنه في أوائل التسعينات كنت أنا والشيخ محمد إسماعيل المقدم لدينا عمل في القاهرة فاتفقنا على أن أصحبه معي في سيارتي والطريق إلى القاهرة يستغرق حوالى ساعتين فأحببنا أن نستفيد فاقترحت أن نشتغل في المغني، الشيخ المقدم يحضر المسائل الفقهية وانا أخرج أحاديث الكتاب، فعملنا عدة سفريات مع بعض، الشيخ المقدم يتكلم عن مسائل الفقه التي في الكتاب وأنا أقود وأسمع ولما ارجع للبيت أخرج، لكن للأسف شُغِل الشيخ المقدم عن الذهاب للقاهرة وانقطع هذا السفر، استمريت في الكتاب وخرّجْت حوالي **80** حديثا وآثر من أول كتاب المغني، وطبعا لكثرة مشاريعي ودروسي وتجوالي لم استطع أن استمر في تخريج الكتاب.

فهناك كثير من المشاريع لم تكن مقصودة ابتداءً مثل جزء فضل الشيب وجزء في الختان وخصال الفطرة والناكح بغير ولي، وكل هذا انبثق من مشاريع كبيرة أجد الحاجة إليها مثل الختان وإعفاء اللحية بسبب اللغط الذي حدث ومؤتمر السكان ولما تكلم المفتي في موضوع الختان، وهناك كتب صرفت النظر عنها وكان أكبرها السحب الهوامع.

لما نظرت إلى جهدي لأنني أبذل مجهودا كبيرا جدا، والتخريج والنقد وترتيب الطرق يعرف المعاناة فيها من عاناها، فأنا أنفقت أياما طويله وشهورا من عمري فقلت إنني سأجمع أعمالي التي لم تتم وسأنشرها على حالها، ما خرجته من كتاب المغني، ما خرجته من جزء الذهلي، ما خرجته من الترغيب والترهيب، كل الكتب الناقصة سأنشرها في كتاب أسميته (**جمع الشتات وإحياء الرفات**).

همة العلماء

قرأت علل ابن أبي حاتم أكثر من **100 مرة** أنا اعتبره من كتب الرياضة، استمتع لمجرد القراءة فيه وفي كل مرة اكتشف فائدة جديدة لم أفطن إليها من قبل.

التقنيات الحديثة

حاولت أن أتعامل مع المكتبة الشاملة لم أستطع ولا اعرف لماذا قلبي مغلق على الكمبيوتر مع أني لا أجحد فائدته وان كنت أذمه ذما شديدا لأنه ضيع الحفظ وضيع العلوم.

ولقد استفدت من كلام ابن سيرين الذي رواه الخطيب البغدادي في كتاب تقييد العلم قال (وددت لو أن الأيدي قطعت في الكتابة، لأنها ضيعت الحفظ) هذه الكلمة حلت لي إشكال كبير في دروس مصطلح الحديث، كنت اشرح ولما اسأل الطلبة لا أجد إجابة أُعيد واشرح الذين يجيبون قليل، مع إني أحاول أن أُبسط الشرح فانتبهت إن كل واحد منهم معه تسجيل فهو نائم وانا أتكلم، على أساس إنه يذهب للبيت ويسمع التسجيل ويذهب ولا يسمع فمنعت التسجيل فبدؤوا في الإجابة.

الاعتراف بالخطأ

كل مناسبة استطيع فيها أن أبين خطئي في كتاب قد طبع، أنا أبينه حالا، لأني قد لا استطيع أن أعيد طباعة الكتاب الذي فيه الخطأ، وأنا أريد أن أتبرأ من خطئي حيًّا وميتًا، ولا ضير عندي في هذا، بل أكثر من ذلك فأنا اعترف إني لم أكن مؤدبا مع بعض الأئمة في بداية حياتي العلمية، فمثلا في جنة المرتاب على وجه الخصوص صنفته في أوائل حياتي وكنت معجب بنفسي فرحان بالجهد الذي أبذله لأني كنت أطوف في القاهرة بحثا عن مكتبة فيها مراجع واذهب للمكتبة وقد يمنعني أمين المكتبة من أخذ كتاب، و أجد إن علي بن المديني يقول عن راوي إنه مجهول وأجد الأئمة يوثقون هذا الراوي فأقول ما هكذا تورد يا سعد الإبل، ومن المعيب أن يقال هذا للائمة الكبار، فأنا نادم على هذا لأن هذا العلم دين.

همة وصدق

رزقني الله في بداية حياتي بهمة عالية كنت أجلس على مكتبي أكثر من 16 ساعة في اليوم، ولم أتطلع في الدنيا لشيء، لا تمنيت أن أكون صاحب مال ولا صاحب منصب، كانت همتي في الكتابة والقراءة والبحث والدعوة والحمد لله حتى الآن ما دخل شيء من هذا قلبي، وحتى مع ظروفي الخاصة أقل عدد من الساعات أجلسها على المكتب 14 ساعة حتى الآن، عندي جَلد شديد لأني محب، لا أعمل في وظيفة لكي أنهب الكتب وأقدمها لدور النشر حتى أتقاضى أَجرًا عنها، لو كان الأمر كذلك كان القص واللصق وانتهينا، لكن السطر عندي يكلفني من الوقت والجهد الكثير، ممكن حتى اكتب إن هذا الحديث شاذ أو صحيح قد تأخذ مني أسبوع حتى اكتب هذه الكلمة.

فائدة حديثية

التخطئة بالاحتمال: هناك من يقول إذ لم يكن لك دليل جازم لا يجوز تخطئة الثقة، نقول لا، فالعلماء كانوا يخطئون بالاحتمال، لما يجد المتن منكر ولم يجد عله (الإسناد ممتاز والمتن منكر) فيقول يحتمل أن فلان قد ادخل عليه هذا الحديث، واحتمال العالم المتبحر لا بد أن نتعلق به ولا تطلب منى دليل قاطع في بعض الأحاديث لا أستطيع ذلك.

إذا اختلف اثنان فزاد أحدهم ونقص الأخر رجحوا رواية الذي زاد لأن هناك البعض مثل الغماري في المداوي يتصور إن العلماء المتقدمون إذا اختلف وصل مع أرسال يحكمون بالإرسال على طول الخط فأنا أجمع كل الأحاديث التي زاد فيها راوي عن راوي وقال أبو حاتم أو أبو زرعة زيادة ثقة مقبولة وقبلوها وردوا المرسل.